الاخلاق التطبيقية في مجال الطب
(قيمة الحياة نموذجا)

د/سماح عبد الحكيم سيد

مدرس بقسم الفلسفة بكلية التربية – جامعة عين شمس

الملخص:

حياة الانسان مقدسة ولا يجب المساس بها، تلك البديهيات التي تتفق عليها كافة الثقافات في مختلف الحضارات وعلي مدار الازمنة والعصور، ولكن تكمن الاشكالية إذا تعارضت قدسية الحياة مع رغبات الانسان، فإنه قد يلجأ الي التضحية بالحياة مقابل تحقيق ما يسعي إليه، ويستعين في ذلك بالعلم والتكنولوجيا، ولكن لم تترك الفلسفة الانسان وحيداً في تلك الاشكالية بل سعت الاخلاق التطبيقية الي ايضاح خطورة التدخل في الحياة الانسانية والتعدي عليها.

ومن هنا اكتسب موضوع قيمة الحياة أهمية فلسفية كبيرة، في مجال الاخلاق التطبيقية والتي تعتبر قيمة الحياة وقضية الموت من الموضوعات الحيوية التي تناولتها، وخاصة في المجال الطبي، وحاولت الاخلاق التطبيقية ان تساعد الانسان في تحقيق تقدمه ورفاهيته التي يسعي اليها وفي ذات الوقت الحفاظ علي الحياة علي الكوكب، فكما ان الحياة لم تأتي لنا بإختيارنا، فإننا لسنا في مجال للاختيار بينها وبين الموت، أو حتي التفكير في التخلص منها في مرحلة ما أو لسبب ما، بل يجب علينا ان نسعي جاهدين الي تنمية تلك الحياة وجعلها أفضل.

.الكلمات المفتاحية (أخلاق–تطبيقية–الطب–قيمة الحياة–الاجهاض)

Abstract :

Human life is sacred and should not be violated. This sentence is an axiom that all cultures agree on in different civilizations and over time and eras, but the problem lies if that sacred life conflicts with human desires, he may resort to sacrificing life in exchange for achieving what he seeks Science and technology are used in this, but philosophy did not leave man alone in this dilemma.

Hence, the issue of the value of life has gained great philosophical importance, in the field of applied ethics, which considers the value of life and the issue of death among the vital topics that I dealt with, especially in the medical field, and applied ethics tried to help man achieve his progress and well-being that he seeks and at the same time preserve life. On the planet, just as life did not come to us by choice, we do not have the opportunity to choose between it and death, or even think about getting rid of it at some point or for some reason, but we must strive to develop that life and make it better.

Keywords (Ethics-applied-medicine-the value of life-abortion)

الاخلاق التطبيقية في مجال الطب
(قيمة الحياة نموذجاً)

تمهيد:

أدت الثورة البيولوجية والتكنولوجية الي ظهور مشكلات أخلاقية واجتماعية ودينية وقانونية، وكلها مشكلات جديدة تحتاج إلى أخلاق ومعايير، وأوضحت تلك الثورة أن ما ينقصنا هو (الحكمة) وليس (العلم)، فالخوف ليس من العلم، بل من الإنسان الذي يستخدم هذا العلم استخداماً بشعاً لا أخلاقياً، أي أن المشكلة تكمن في الإنسان الذي يستخدم هذه التكنولوجيا وليست في التكنولوجيا ذاتها، فإذا كان لديه وازع أخلاقي يحكم أفعاله وتصرفاته فإنه دون شك سيسعى إلى خير البشرية ومنفعتها، أما إذا كان مجرداً من القيم والمبادئ الأخلاقية، فإن حياة الآخرين لن تعني له شيئاً ولو أفنى البشرية بأكملها! ومن هنا تأتى أهمية الأخلاق، فالعلم سلاح ذو حدين، وهو بحاجة إلى الأخلاق، والعلماء بحاجة إلى قوانين تحكمهم، وهذا العالم تنقصه الدراية بقيمة الإنسان وبقيمة الآخرين، كما أن هذا العالم يجهل المعرفة بتلك الإشكالية الأخلاقية التي تعبر عن قدسية الحياة، وهنا يكمن دور الفيلسوف التطبيقي حين يحاول أن يضيق الهوة بين التكنولوجيا المتطورة وبين الإنسان الذي يتحكم فيها، ويعرض موقفه الأخلاقي من التطورات الطبية العلمية والتكنولوجية التي تهدد كيان الانسان.(١)

(١)خالد قطب-أحمد مستجير:الفلسفة التطبيقية، الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة،ب.ت، ص٢٣٠

وخلال النصف الاول من القرن العشرين لم يفعل الفلاسفة الاخلاقيون الغربيون شيئاً من أجل احترام الآخر، فلقد فقد الملايين حياتهم في الحرب العالمية الاولي والثانية، والتي بلغت أوج تصاعدها في القصف الوحشي في "درسن" و"هيروشيما"و"ناجازاكي" علي يد قوات الحلفاء:

فقد استيقظ العالم في ٦ اغسطس ١٩٤٥م، علي خبر القاء الولايات المتحدة الامريكية للقنبلة النووية على هيروشيما باليابان، اثناء الحرب العالمية الثانية، علي الرغم من إدراك قادة الولايات المتحدة الامريكية لخطورة القنبلة النووية وأنها تقضي علي الحياة بشكل سريع، بل وتدمر البيئة، وتدمر العديد من الكائنات الحية الاخري، ولم تحتاج الولايات المتحدة الامريكية سوي لثلاث أيام فقط لتلقي القنبلة الثانية علي مدينة ناكازاكي اليابانية يوم ٩ أغسطس ١٩٤٥م، مما أسفر عن مصرع ما يقرب من ٣١٠ آلاف شخص، في هيروشيما، ومصرع حوالي ١٨٠ ألف شخص، في ناكازاكي، ولقد توفي الكثيرون ضحية الآثار الجانبية ومضاعفات القصف النووي.(٢)

ولقد استوقفتني تلك الواقعة كثيراً–وهي ليست الوحيدة– لأن من ألقي القنبلة يعلم جيداً أنها لا تميز بين صديق أو عدو، بين رجل أو امرأة، طفل أم كهل، ... الخ إنها تقضي علي كل ما تصل إليه، إنها تقضي علي إمكانية الحياة علي الإطلاق، وهذا ما جعلني اتساءل:

هل قيمة الحياة علي الكوكب كانت في ذهن من ألقي تلك القنبلة؟ هل فكر من اتخذ قرار الإلقاء في قيمة حياة الافراد الاخرين؟ هل سمح لنفسه للتفكير للحظة، في انه بذلك القرار لا يقضي فقط علي امكان الحياة للجيل الحالي ولكنه يقضي علي امكان الحياة لأجيال عديدة قادمة؟ هل تساءل في قرارة نفسه: ما الذنب الذي قدمته الاجيال المستقبلية لتدمر لها أرضها؟

(٢) تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٣١م

https://cutt.us/h٢Vqf

قد تكون الاجابة علي التساؤلات السابقة هي: ان العالم في تلك الفترة كان في حالة حرب، وكل فريق في الحرب يستخدم كل الادوات والاسلحة التي لديه، وبالتالي لا يفكر احد في قيمة الحياة، ولكن يفكر في قيمة الانتصار، ويبحث عن ربح المعركة، وبالتالي لا وجود لقيمة الحياة في تصوراتهم، ولكن ما نخلص إليه من تلك الوقائع ان قيمة الحياة الانسانية لابد من وضعها في الاعتبار والاهتمام بها، في حالة الحرب قبل حالة السلم.

وعلي الجانب الآخر: استيقظ العالم في ديسمبر ٢٠١٩م علي خطر جديد يواجه وجود البشرية، ويهدد الحياة علي الكوكب، اتحدث هنا عن كوفيد ١٩ (COVID-19)*، ذلك الوباء الذي انتشر في العالم، مهدداً كافة الافراد، كافة الطبقات الاجتماعية، كافة الأعمار، لم يميز بين فئة عمرية وأخري، وبدأت الدول تتنبه لخطورة هذا الوباء علي الوجود الانساني ككل، وأسرعت الدول في الاغلاق الكامل، واتخاذ العديد من الاجراءات الطبية الاحترازية للسيطرة علي انتشار الوباء، أو بمعني آخر تحافظ علي الحياة علي الكوكب، بعد أن اصبحت مهددة بالانقراض من قبل هذا الفيروس القاتل.

والحقيقة التي لا مفر منها هي ان الازمات تلاحق الانسان دائماً، وان الصراعات بشتي اشكالها (الاقتصادية،العسكرية،الاجتماعية،....الخ) لن تنتهي، وهنا تكون التساؤلات: كيف ننمي لدي الانسان احترام حقوق الآخر حتي إذا كان في حالة صراع معه؟ كيف نجعله يحترم قيمة حياة الآخر في ذاتها بغض النظر موقفه منه؟ تلك التساؤلات جعلت من الاخلاق التطبيقية، والاخلاق الطبيه أمراً هاماً، في الفترة الاخيرة، وهذا ما دفعني الي تناول موضوع **الاخلاق التطبيقية في مجال الطب (قيمة الحياة نموذجاً).**

* ويقصد به المتلازمة التنفسية الحادة، ولقد تفشي المرض أول الأمر في مدينة "ووهان الصينية" في أوائل ديسمبر ٢٠١٩م، الي أن اعلنت منظمة الصحة العالمية الطوارئ الصحية في العالم، لتفشي فيروس كورونا وذلك في ٣٠ يناير ٢٠٢٠م، وأعلنت منظمة الصحة العالمية يوم ١١ مارس ٢٠٢٠م تحوله الي جائحة، ولقد وصلت حالات الوفيات حتي يناير عام ٢٠٢٢م الي ٥.٥٤ مليون فرد، ومازال يعاني العالم من هذا الوباء. انظر
https://cutt.us/٤ClO٠ تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٣١م

وفي تلك الورقة البحثية نحاول أن نلقي الضوء علي الاخلاق التطبيقية وموضوعاتها وانعكاساتها في المجال الطبي،مع التركيز علي قيمة الحياة كقضية هامة وحيوية بالنسبة للاخلاق التطبيقية، وذلك من خلال محاولة الإجابة علي مجموعة من التساؤلات التالية:

ما المقصود بأخلاق التطبيقية؟

ما مجالات الاخلاق التطبيقية؟

ماذا تعني الاخلاق الطبية(البيوتقا)؟

ما المقصود بقيمة الحياة؟

ماهى الرؤى الفلسفية لقيمة الحياة؟

أولا: ما الاخلاق التطبيقية؟

الاخلاق: (لغة) جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة.

الاخلاق اصطلاحاً: هي علم يبحث في الاحكام الخاصة بالخير والشر، والفضيلة، وهو علي نحوين:إما ان يتجه الي تحليل سيكولوجي أو سوسيولوجي لأحكامنا الخلقية لبيان أسباب استحساننا أو نفورنا، وإلي بيان أسلوب الحياة الذي ينبغي ان نحتذيه كأسلوب خير أو حكيم.والاهتمام هنا لا ينصب علي الاستحسان بل علي الفعل ولا ينصب علي تفسير الفعل بل علي توجيهه، لذا فالبحث هنا يقوم علي البحث عن مثال أو معيار معين للسلوك أو غاية الخير الأعظم.(٣)

ولقد شهدت العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي انبعاثا للفكر الأخلاقي التطبيقي علي أثر التقدم التكنولوجي الذي عرفه ميدان الطب والبيولوجيا، وتمثل هذا الانبعاث في ظهور اهتمام كبير بالقضايا الأخلاقية التي افرزها ذلك التقدم وما يرتبط بها من قضايا أخري قانونيه ودينيه وفلسفية واقتصادية وبيئية وكانت غايته الأساسية هي اقتراح المبادئ الأخلاقية التي يجب ان تنظم ممارسه الأطباء والعاملين في ميدان الصحة والأبحاث العلمية في الطب والبيولوجيا والصحة، إلا أن هذه المبادئ تتجاوز المستوي الطبي

(٣) مراد وهبة: المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٣.

والبيولوجي كي تشكل نواه للتفكير الأخلاقي والقانوني متفق عليه– نسبيا – للممارسة والبحث العلميين،ولكل الممارسات المهنية بشكل عام، من أجل تدعيم حقوق الإنسان والحفاظ علي بيئته، وحمايته من تجاوزات العلماء والباحثين.(٤)

فلقد ظهرت الفلسفة التطبيقية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، من المحاولات الثقافية أو العالمية المختلفة للتعامل مع اخلاقيات الحياة الفعلية والمشكلات الاجتماعية والسياسية التي درجت العادة الاكاديمية علي تجاهلها فيما بين الحربين العالميتين.(٥)

والأخلاق التطبيقية Applied Ethics هي جزء من الفلسفة الخلقية، وتتعلق بوضع معايير لما هو صواب أو خطأ أخلاقي، معايير لتفرق بين الخير والشر الاخلاقي، وهي تدل علي ما ينبغي علينا فعله وما يجب علينا ان نسلكه لكي نتجنب الشر الاخلاقي، ولقد ظهرت تلك الاخلاق العملية عام ١٩٦٠م حينما اهتم الفلاسفة بالاخلاق العملية فاستعملوا النظريات المعيارية وطبقوها علي المشكلات العملية الحياتية. (٦)

فلسفة الأخلاق التطبيقية هي ذلك العلم الذي يدرس التكامل العلمي بين البيولوجيا والأخلاق والقيم، وهو العلم الذي يتناول الدمج بين القيم والمفاهيم البيولوجية المتعلقة بالطب والصحة ويهتم هذا العلم بضرورة تحقيق التوازن بين التوجه العلمي والثورة البيولوجية مع القيم الأخلاقية والإنسانية.(٧)

---

(٤)احمد عبد الحليم عطية: المدخل الي الفلسفة الراهنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٩

(٢)اوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، افاق جديدة للفكر الانساني،ترجمة: مصطفي محمود محمد، عام المعرفة، (٣٠١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ٢٠٠٤م، ص١٦٠.

(6) Encyclopedia Britannica article from the full 32 vol April 29, encyclopedia, applies ethics, 2005.

(7)Peter J.White house."The Rebirth of Bioethics Extending The Original Formulation of Van Rensselaer Potter, The American Journal of Bioethics",2003, P10.

كما تعرف أيضاً بأنها فرع من فروع فلسفة الأخلاق التي تهتم بدراسة القضايا الأخلاقية الجدلية المتعلقة بمجالات الحياة الإنسانية وأخلاقيات الطب الحيوي(القتل الرحيم والإجهاض والاستنساخ واستخدام الأجنة في التجارب)دراسة فلسفية متعمقة من وجهة النظر الأخلاقية.(٨)

وهي أيضاً، دراسة للمعضلات الاخلاقية والاخلاقيات والمعايير في وظائف ومهن ومواقف عينية محددة وكيفية تطبيق للنظريات والمفاهيم القيمية في سياقات معينة.(٩)

معني ذلك، ان الاخلاقيات التطبيقية، هي مجموعة من القواعد الاخلاقية العملية التي تسعي لتنظيم الممارسة داخل مختلف مبادئ العلم والتكنولوجيا، وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية مهنية، كما تحاول ان تحل المشاكل الاخلاقية التي تطرحها تلك المبادئ اعتماداً علي ما يتم التوصل اليه بواسطة التداول والتوافق علي المعالجة الاخلاقية للحالة الخاصة والمعقدة.(١٠)

ويتم استخدام المصطلحين "الأخلاق التطبيقية" و"الأخلاق العملية" بشكل متبادل للإشارة إلى تطبيق الأخلاق على مجالات خاصة من الانشطة البشرية، مثل الأعمال التجارية والسياسة والطب، وعلى مشاكل معينة، مثل عمليات الإجهاض، والأخلاقيات التطبيقية هي مجال آخذ في التوسع، كان الطب والرعاية الصحية نقطة البداية، وتبع ذلك السياسة والأعمال، والآن يتم تقييم المزيد والمزيد من الأنشطة البشرية من وجهة نظر أخلاقية: الزراعة، تربية الحيوانات، التكنولوجيا،...إلخ. وظهر داخل الاخلاق التطبيقية العديد من التخصصات الفرعية مثل: أخلاقيات الطب، وأخلاقيات الحيوان، وأخلاقيات

(8) Wikipedia" Appliedethics", Available on http://www.Wikimedia Foundation, Inc.,(2009).

(٩) ديفيد رزنيك : أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النور المنعم، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٥، ص٣٦

(١٠)مصطفي النشار: العلاج بالفلسفة، بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيية وفلسفة الفعل، ط١، الدرا المصرية السعودية،القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٨

العمل، وأخلاقيات البحث، والتكنولوجيا والأخلاق، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) – الأخلاق والسياسة،...إلخ. (١١)

إذن فثمة إشكالية يواجهها الانسان المعاصر، حيث يسعي للتقدم واستخدام أنماط متطورة من التكنولوجيا ليشبع احتياجاته ويحقق رفاهيته، إلا أن تلك التكنولوجيا وأهداف الانسان العلمية أظهرت العديد من المشكلات في العديد من المجالات المهنية المختلفة وكان علي الانسان ان يبحث له عن مخرج لهذه الاشكالية ومن هنا ظهرت الاخلاق التطبيقية لتحاول ان توضح المشكلات التي تواجه الانسان، محاولة التنبية لمخاطر التقدم العلمي والتكنولوجي والاستخدام السئ له من قبل الانسان.

فالأخلاق والعلم لا يجتمعان فالأخلاق تقوم بالحد والضبط، بينما العلم دائما في اندفاع دون وضع حدود، مما دفع فلاسفة الأخلاق إلى وضع مبادئ وقوانين لضبط العلم وقوانين صالحة للتطبيق وتجاوز الأخلاق النظرية التجريدية، وهذا ما أطلق عليه الاخلاق التطبيقية:

وهذا ما أكده برتراند رسل بقوله " بهذه الطريقة يكون لكل مهنة مجموعة من القواعد الأخلاقية الخاصة والأطباء يقيدهم قسم ابقراط والجنود النظام العسكري والرأي العام يقوم بتنفيذ هذه القواعد".(١٢)

ثانياً: ما الأخلاق الطبية؟(البيوتيقا)

لقد حاول الإنسان منذ نشأة الحضارات أن يضع قوانين تحدد سلوكه ومعاملاته حماية للمجتمع من التدهور، وكان من بينها شريعة"حامورابى"ملك بابل العظيم (٢١٠٠ق.م)، التى شملت كل جوانب الحياة العملية حتى الطب، حيث وضعت قواعد مشددة تحدد أجور الأطباء وتحمى المرضي، وقد كانت هذه القوانين تراعى

(11)GÖRAN COLLSTE :Applied and Professional Ethics, KEMANUSIAAN Vol. 19, No. 1, (2012), 17–33,P18.

(١٢)برتراند رسل: المجتمع البشري في الاخلاق والسياسة، ترجمة، عبد الكريم أحمد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،ب.ت، ص١٥.

الأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية معاً، كما أن هذه القواعد كانت تعتبر الطبيب مسؤلاً مسؤلية كاملة عن أى ضرر يلحق بالمريض أثناء علاجه. (١٣)

وفي فارس كان الزرادشتيون يقدسون حياة الانسان والحيوان معاً "لـــذلك كانت هناك قوانين مشددة حول العناية بالأنثى خلال فترة حملهـــا ســـواء مـــن البـــشر أو الحيوانات معاً، ولكن هذه القوانين زالت بزوال الحضارات التى تمثلها، أما القواعد الطبيـــة التى استمرت إلى حد بعيد فى الأوساط الطبية حتى عصرنا الحاضر، فيعود تاريخها إلـــى المرحلة الذهبية من العصر اليونانى، الذى وضع فيه قسم "أبقراط" الطبى الشهير وهو قسم وضع لتحديد سلوك الطبيب وأخلاقياته، وتدور أهم بنوده حـــول المحافظـــة علـــى حيـــاة المريض فى جميع الحالات "لن أعطى أى دواء مميت لأى شخص يطلب منى ذلك، ولـــن اقترح استخدامه.

ولقد كان هذا القسم متفقاً عليه من حيث تحريم قتل المريض مع مجموعة مـــن القواعد "الفيثاغورية" التى وضعت أيضاً فى نفس العصر، لتحديد سلوك الطبيـــب وتحديـــد علاقاته بزملائه ومرضاه، إلا أننا يجب ألا نتسرع فنعتقد أن طب " أبقراط" وقـــسمه كـــان مسيطراً على مجال الطب فى ذلك العصر، إذ لم يكن هناك عند اليونان ولا الرومـــان ولا حتى عند المسيحيين فى العصور الوسطى ما يمكن أن يطلق عليه طب، بالمعنى الحديث إذا كان بإمكان أى شخص أن يطلق على نفسه لقب "طبيب"، وأن يقوم بعـــلاج النـــاس إن استطاع، ومن هنا كثر السحر والشعوذة وتداخلا مع الطب فى علاج المرضى، ولم يكـــن هناك أى نوع من العقوبات التى يمكن أن تطبق على الأطباء إذا مـــا خـــالفوا أخلاقيـــات مهنتهم، وانتقل قسم "أبقراط" من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر، وفـــى كـــل مـــرة تضاف إليه قاعدة جديدة، أو تحذف منه بعض البنود، إلى أن تحول إلى ما يسمى "بـــالتراث الأبقراطى."(١٤)

(١٣)ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج٢، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٠٩.

(١٤)ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والاخلاق، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٩٣م، ص٣٧.

يعيش العالم اليوم في وضعية الاحراج، بسبب التحدي المتزايد الذي يسببه العلم وتطبيقاته للأخلاق والضمير الاخلاقي، والذي أثار ويثير ردود فعل يمكن وصفها بعودة الاخلاق وردود فعل تطالب باخضاع العلم ومنتجاته للقيم والمعايير الاخلاقية.(١٥)

ومن هنا تأتى أهمية الأخلاق الطبية لكي تضع حداً للتطور العلمي المذهل، فالعلم سلاح ذو حدين، وهو بحاجة إلى الأخلاق، والعلماء بحاجة إلى قوانين تحكمهم في ظل التطورات العلمية والتكنولوجية، وهذا العالم تنقصه الدراية بقيمة الإنسان وبقيمة الآخرين، كما أن هذا العالم يجهل المعرفة بتلك الإشكالية الأخلاقية التي تعبر عن قدسية الحياة، وهنا يكمن دور الفيلسوف التطبيقي حين يحاول أن يضيق الهوة بين التكنولوجيا المتطورة وبين الإنسان الذي يتحكم فيها، ويعرض موقفه الأخلاقي من التطورات الطبية العلمية والتكنولوجية التي تهدد كيان الإنسان(١٦)، ولقد ظهرت الحاجة الملحة لوجود أخلاق (البيوتيقا)مع ظهور الحركة الاجتماعية التي عرفها المجتمع الامريكي أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، والتي كان من مظاهرها البارزة مواجهة السلطة الطبية، خاصة بعد ان أصبح الاطباء وبعض العاملين بمختلف ميادين الطب والصحة يقومون بممارسات تتعارض مع المبادئ والقواعد التي تقوم عليها اخلاقيات مهنة الطب.(١٧)

فمنذ الستينات استحوذت المشاكل الأخلاقية فى مجال الرعاية الصحية وعلوم الطب الحيوى على وعى المجتمع العام بطريقة غير مسبوقة، وكان هذا نتيجة للتطور الكبير فى العلوم الطبية والآلات الطبية الحديثة التى تساعد الفرد على البقاء حياً ويصبح الاستغناء عنها يعنى الموت، ونقل الأعضاء وعمليات التخصيب المتعددة، والأم البديلة والتحكم فى

(١٥)محمد عابر الجابري : قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٧.

(١٦)خالد قطب وأحمد مستجير: الفلسفة التطبيقية "الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة،ب.ت، ص٢٦.

(١٧)مصطفي النشار: الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م، ص١٨٢.

الأجنة وعددها وعمليات الإجهاض الآمنة، وكل ما فى هذه الأجواء من موضوعات واختبارت أخلاقية جديدة، ولد مجال بحثى جديد عرف بـــ(الأخلاق الحيوية)Bioethis وأصبح هذا المصطلح يشير إلى الاهتمام المتزايد بالموضوعات الأخلاقية التى تنشأ علوم الرعاية الصحية والطب الحيوى.([١٨])

والسؤال: ما المشكلات الاخلاقية التي تتناولها الاخلاق الطبية؟

الانسان كائن فريد من نوعه، هذا هو السبب في أنه من المهم للغاية في ممارسة مهنة الطب احترام كرامة المريض والعناية بصحته باستمرار، فيجب أن تستند جميع الأنشطة الطبية إلى الاستعداد لمساعدة شخص مريض ويعاني ويئس، وعلم الأخلاق الطبي الذي ينظمه قانون الطب ليس كاف، على الرغم من أن الأحكام الواردة فيه مهمة وتساعد أحياناً في حل المعضلات الأخلاقية التي غالباً ما يواجهها الطبيب في عمله، لذلك يجب أن تبدأ الاعتبارات المتعلقة بالالتزامات الطبية الأخلاقية على أساس أخلاقيات الفضيلة وأخلاقيات الرعاية، فأن تكون شخصاً صالحاً هو الشرط الأساسي لكونك طبيباً جيداً، يجب على الطبيب، كموضوع أخلاقي، أن يمتلك أولاً فضيلة الحكمة (الحكمة)، والحكمة في مهنة الطب هي القدرة على تقرير ما إذا كان من الجيد للمريض إخباره بالحقيقة الكاملة عن صحته أو إخفائها، فيجب على الطبيب أن يعالج كل مريض على حدة، ويقيم ماذا وكيف ومتى يمكنه إخباره، فالنوايا والدوافع التي تؤثر على التصرفات الأخلاقية أو غير الأخلاقية وسلوك الأطباء تجاه المرضى هامة.([١٩])

ويواجه العاملون في ميدان الطب مشكلات أخلاقية تثير حيرتهم وتدفعهم إلى البحث عن إجابات لها، وقد ازدادت هذه المعضلات الأخلاقية حدة نتيجة التطورات الطبية والبيولوجيا عموماً، وبعد أن أتاح التقدم العلمي والتكنولوجي للأطباء المساهمة في حل

(18)Kuhsh, Helga & Singer, Peter, What is Bioethic? A Historical Introduction, A Companion to Bioethics , Blackwell Publishers,U S A,1998,,p.3

(19)Aleksandra Kuzior: Applied Ethics, Politechnika Silesian ,Lublin , Silesian .2021,P83.

مشكلات قديمة كانت مستعصية كمشكلة العقم، مثلاً وذلك عن طريق حل مؤقت هو"أطفال الأنابيب" وكذلك التحكم في الجينات الوراثية للحصول على أنواع مختلفة من الدواء كالأنسولين، والكشف عن الكثير من الأمراض الوراثية التي كانت غير معروفة في عصر سابق"الهندسة الوراثية"، كما أصبح بإمكان الطب إرجاء موت الإنسان عن طريق الأجهزة المختلفة للإنعاش الصناعي "التكنولوجيا الطبية"...الخ، ولكن مثل هذه التطورات أثارت تساؤلات أخلاقية سواء أمام العاملين في مجالها، أو حتى أمام الباحثين خارج نطاقها، كالفلاسفة ورجال الدين.(٢٠)

وتتناول الاخلاق الطبية الحالات والمواقف والمشكلات التي تواجه الاطباء خلال عملهم، ثم تحليلها من منظور فلسفى، للوصول إلى تحديد المفاهيم والمبادئ التى تكمن خلف الأحكام التى يصدرها هؤلاء الأطباء والعلماء، ثم يحاول من خلال تحليل اللوائح والمواثيق الطبية أن يصل إلى تعميمات نظرية يمكن ان تطابق معظم المواقف، فهل القضية بهذه السهولة؟ وهل يمكن أن نقول بإمكان التوصل إلى نظرية شاملة فى الأخلاق الطبية؟

الواقع أن المسألة مازالت محاطة بكثير من الصعوبات، وقد يكون من السابق لأوانه أن نتفاءل فنقول إن مثل هذه النظرية ممكنة.

فلقد بدأ بالفعل تزايد الإحساس بحاجة المجتمع إلى الفلاسفة فى مجال الطب والبيولوجيا الطبية منذ عام ١٩٦٠ م ,ليس من أجل التوصل إلى حلول، فهذا لم ولن تعتد به الفلسفة، وإنما من أجل وضع النقاط على الحروف وتوضيح طبيعة المشكلات التى يمكن ان تواجه الأطباء والعلماء معاً. (٢١)

إذن، فإن الاخلاق الطبية تضع مجموعة من المعايير الواجب علي الطبيب الالتزام بها، عند تقديم العلاج للمريض، بالاضافة الي انها تتناول الاشكاليات الطبية المختلفة التي قد تواجه الطبيب، مما تساعده في اتخاذ القرار الصائب عند تقديم العلاج، فالدور الذي يقدمه الطبيب للمريض هام جداً، فضلا عن انه لابد ان يتسم بالتدخل السريع والدقيق، ومن هنا

(٢٠)ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق ، ىمرجع سابق، ص٣٨.
(٢١)المرجع السابق ، ص٢٦.

تأتي الاخلاق الطبية كمحاولة من فلاسفة الاخلاق التطبيقية ان تكون القضايا الشائكة واضحة امام الطبيب حتي يتسني له اتخاذ القرار الصائب ليصل الي هدفه في النهاية وهو الحفاظ علي حياة المريض، ومن هنا صك مصطلح البيوتيقا Biothics.

البيوتيقا:Biothics لم يكن مصطلح البيوتيقا موجوداً قبل الثورة البيولوجية والتطورات التي شهدها المجال الطبي، واشتقت كلمة بيوتيقا من مصطلحين اغريقين بيوس ايتوس Biosأي حياة، و Ethos:Ethique اتيقا أو الاخلاق، وتشير الي التفكير المهيمن في القرن العشرين حول التقدم البيوطبي، ويفيد مصطلح البيوتيقا الي العادات والتصرف في الحياة.(٢٢)

وظهر مصطلح البيوتيقا في مطلع السعبينيات من القرن الماضي، وقد تحدد علي يد العالم الامريكي " فان بوتر رينسلاير van Potter Rensselayer (١٩١١م-٢٠٠١م)، الذي يرجح كثير من العلماء والباحين انه أول من استعمل هذا المصطلح والذي قصد من خلاله تأسيس علم جديد، علم البقاء أو الاستمرار علي قيد الحياة، وهو علم يرمي الي اقامة تحالف بين علوم الحياة (Bio) والقيم الانسانية والقواعد الاخلاقية(Ethics) بحيث يعمل علي تجنيب البشرية العديد من الكوارث المحتملة الناتجة عن استخدام التكنولوجيا في الجسد البشري.(٢٣)

البيوتيقا تعني "الاخلاق البيولوجية" "اخلاقيات الطب" "اخلاقيات الطب والبيولوجيا" "اخلاقيات علوم الحياة" "البيو-أخلاق" "البيو اخلاقيات"، وهي تشير الي التساؤلات الجديدة التي أثارتها التطورات التي حصلت في ميادين الطب والبيولوجيا.(٢٤)

ومن الموضوعات التي تهتم بها البيوتيقا:

- التدخل في طبيعة الانجاب الانساني

(٢٢)غي ديران: البيوتيقا، ترجمة محمد جديدي، الطبعة الاولي، جداول للنشر والتوزيع، المغرب، ٢٠١٥م، ص٤٠.

(٢٣)مصطفي النشار: الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢٤)عمر بوفتاس: البيوتيقا، الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، افريقيا الشرق المغرب، ج١، ٢٠١١م، ص١٧

- التدخل في الجينوم الانساني
- التدخل في الشخصة الانسانية(في سلوك الدماغ)
- التدخل في الجسم البشري(التجريب عليه، زرع الاعضاء،الاعضاء الصناعية)
- التدخل في مسألة نهاية الحياة(العلاج المؤقت،الموت الرحيم)
- المحافظة علي الطبيعة(التوازن الايكولوجي)
- التدخل في التعدد الجيني للطبيعة.([٢٥])

ونخلص من ذلك الي ان الاخلاق التطبيقية بشكل عام والاخلاق الطبية بشكل خاص تتمحور اهتماماتها في الحفاظ علي الحياة الانسانية، فالهدف العام من الاخلاق هو وضع معايير ثابته تحدد العلاقات بين الافراد مما ينظم الحياة الانسانية، والهدف مهنة الطب هو المحافظة علي حياة المريض من خلال تقديم المساعدة والعلاج له، وبالتالي فموضوع قيمة الحياة موضوع اساسي في الاخلاق التطبيقية.

ثالثا: قيمة الحياة:

يعتبر الحديث عن قيمة الحياة الانسانية أمراً بديهياً بالنسبة للانسان والمفكرين والفلاسفة، فقيمة الحياة لا تقدر بثمن، وليست موضوعاً للنقاش، بل كل انسان يعيش ويحاول بشتي الطرق الحفاظ علي الحياة، بل وان العلوم والتكنولوجيا واسهامات البشرية علي مر العصور كان الهدف منها هو الحفاظ علي الحياة البشرية ومحاولة تطويرها وتنميتها، والوصول الي تيسير الحياة علي الانسان، حتي يتسني له الاستمتاع بحياته، ومن هنا كانت كل القضايا التي تتناولها الاخلاق التطبيقية والاخلاق الطبية هدفها الاساسي هو الحفاظ علي الحياة الانسانية، ومن ضمن الامور التي تحافظ علي قيمة الحياة هو تقديم العلاج أو الرعاية الصحية للمرضي.

(٢٥)نورة بوحناش: البيواتيقا انفجار اخلاقي داخل العلم، بحث منشور ضمن"الاخلاقيات التطبيقية"جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم" ،الطبعة الاولي، مكتبة مؤمن قريش، منشورات ضفاف، لبنان، ٢٠١٥م، ص٣٩

وإذا كنا نعني بالقيمة مقدار الأموال التي نحصل عليها مقابل السلع والخدمات، لكن الحياة ليست قابلة للاستبدال، أي قابلة للتحويل إلى نقود، عندما نحدد قيمة الحياة، يتعين علينا أيضاً التعامل مع المفاهيم الأخلاقية والمعضلات الأخلاقية إذا كان ذلك ممكناً على الإطلاق بدلاً من التعامل مع المبادئ والمخططات الاقتصادية، فإن حياة الإنسان لا تقدر بثمن، فإذا مات شخص قريب منا، فسنقدم أو نضحي كثيراً حتى نتمكن من العودة أو إطالة حياته لفترة من الوقت.

ولعقود عديدة، كانت الرعاية الصحية في أوروبا متاحة للجميع بشكل طبيعي وهي أمر لا يجب الخلاف بشأنه، ولا يشكك فيه أحد، وقد أصبح ذلك جزءاً من اوروبا اليوم، حتى آذار(مارس)٢٠٢٠م، عندما كان الوضع حرجاً لدرجة أن توفير الرعاية الصحية كان مشروطًا بالعمر، فرفضت بعض المستشفيات الإيطالية والأمريكية إدخال الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ أو ٦٥ أو ٨٠ عاماً إلى المستشفى، ومن بين أمور أخرى، كانت هذه التجربة المروعة وغير المعروفة بالنسبة لنا حتى الآن أن الاهتمام بـــ "الشباب" فقط هو الذي أرعب السياسيين في العديد من الدول الأوروبية، وأيقظهم وأجبرهم على ردود أفعال فورية، ما هو منطق اختيار المريض؟ وما هي قيمة حياة كبار السن؟([٢٦]) وهذا ما جعل من موضوع قيمة الحياة يكون أمراً ضرورياً.

وتعتبر المواجهة بين مبادئ قداسة الحياة ونوعية الحياة ما يميز الخطاب الأخلاقي الاحيائي المعاصر، وتجدر الإشارة إلى أن الموضوع الأساسي لمناقشات أخلاقيات علم الأحياء هو الحياة على هذا النحو، وأصبحت أخلاقيات البيولوجيا حالياً بشكل أساسي شكلاً من أشكال الإدارة الأخلاقية للحياة البشرية، إنها تبحث عن حلول تحترم كرامة الإنسان، وتحفز التنمية المتكاملة للبشر وفقًا لطبيعتهم، وتضمن أيضاً التنمية المستقرة للأجيال

(26)Jiri Horecky: The Value of Human life, The European Ageing Network (EAN), www.ean.care.

الحالية والمقبلة، وبالتالي، يمكن وصف الهدف الرئيسي لأخلاقيات البيولوجيا بشكل عام على أنه تحسين نوعية الحياة.([٢٧])

ونستطيع ان نميز بين وجهات النظر المحتملة حول قيمة الحياة البشرية، ولتسهيل التوضيح، دعنا نسميها كمفاهيم رأسية وأفقية لقيمة الحياة:

- **الفريق الاول:** يأخذنا المفهوم الأفقي(الواسع)عبر الزمن، كلما بقي لدينا المزيد من الوقت، زادت قيمة حياتنا بعد كل شيء، وهذا يتماشى مع نهج المحاكم، ولكن أيضاً مع نهج المستشفيات في أوقات الأزمات، فكلما زاد النشاط الاقتصادي، وكذلك الاتصالات الاجتماعية التي يمكن أن نتوقعها من الفرد حتى نهاية حياته زادت قيمته، وهذا الرأي يعد نوعاً من النهج المتقشف في الحياة، وفي هذا المنطق، إذا كانت لدينا إمكانية محدودة لإنقاذ الأرواح البشرية، فإننا نقرر بشكل تفضيلي لأولئك الذين لديهم "ربحية" أعلى. ([٢٨])

ومعني ذلك ان هذا الفريق، يري ان قيمة الحياة ليست مطلقة، بل يراها نسبية تختلف باختلاف العمر الزمني للفرد، والقوة البدنية، والامراض التي لدي الفرد، ومكانته داخل المجتمع....الخ، وبالتالي تكون قيمة الحياة للشباب أكبر من قيمة الحياة لكبار السن، وقيمة حياة رئيس الجمهورية أكبر من قيمة حياة العامل في المصنع...الخ ويترتب علي ذلك أنه إذا كان هناك سبيل واحد للحفاظ علي الحياة ولدينا مريضان أحدهما صاحب منصب عالي والآخر شخص عادي، أحدهما في سن الشباب والآخر في سن الكهولة..الخ فإن الحفاظ علي الحياة والسبيل سوف يحصل عليه الاقل سنا أو الاعلي في المنصب، وقد تتحدد قيمة الحياة وفق المنفعة التي يحصل عليها المجتمع من الفرد، وبالتالي فثمة ربط بين ضرورة الحفاظ علي حياة الشخص وسنه وقدرته علي تقديم منفعة للمجتمع.

(27)Anetta Breczko, Marta Andruszkiewicz:The Question of the Value of Human Life in Theoretical Discussions and in Practice. A Legal Philosophical and Theory of Law Perspective, Białostockie Studia Prawnicze, 2018 vol. 23 nr 4.P10.
(28)Jiri Horecky: The Value of Human life, The European Ageing Network (EAN), www.ean.care.

- **الفريق الثاني:** المفهوم العمودي وهو عكس الفريق الاول، إنه يعكس مساهمة الشخص الشاملة مدى الحياة لأحبائه وعائلته والأشخاص الآخرين والمجتمع إنها وجهة نظر معاكسة، إن الفرد هو الذي من خلال جهوده وأنشطته أي حياته، قد خلق أعظم قيمة أو عمل له قيمة "أعظم"، هنا إذن لا ننظر إلى الإنسان في طريق عودته المستقبلية، أي ما سيفعله لنا أو للمجتمع، نحن ننظر إليه من الجانب الآخر – ما الذي قدمه لمجتمعنا، وكيف ساهم فيه معظم حياته، وما هو عمله، فللحياة قيمة عليا لا يمكن التصرف فيها أو التنازل عنها.(٢٩)

ومعني ذلك ان الفريق الثاني، يري ان قيمة الحياة ليست مرتبطة بعامل السن أو المكانة الاجتماعية، ولكن حياة الانسان قيمة وغالية بغض النظر علي السن الذي وصل اليه، لان قيمة حياة الانسان مقدسة، ونقيمها ليس فقط للامكانات المستقبلية التي ننتظرها من الشخص، والتي من الممكن ان يقدمها، ولكن يتم تقييمها بالنظر الي الاسهامات التي قدمها علي مدار حياته حتي وصل الي تلك المرحلة، هذا فيما يتعلق بكبار السن، وبالتالي لابد من احترام حياة الانسان وعدم التمييز بين الاشخاص في حق الحياة والحفاظ عليها.

وهكذا، فإن قيمة الحياة تختلف وفق نظريات الفلاسفة والمفكرين، فهناك مواقف غير عادية حيث يضطر الفرد أو المجتمع للاختيار بين الحياة البشرية، في بعض المواقف، مثل غرق السفينة، يتخذ الناس قراراتهم وفقاً للأنماط المحددة بناءً على قيم معينة مقبولة، على سبيل المثال، يتم إنقاذ الأطفال أولاً، ثم النساء باعتبارهن حوامل مستقبل الجنس البشري، ومع ذلك، هناك أنماط أخرى تقول إن الأضعف والأكثر ضعفاً يجب أن يتم إنقاذهم أولاً لأنهم، على عكس الأقوياء، لديهم فرصة أقل لإنقاذ أنفسهم، في كلا النموذجين، يتم تطبيق التصنيف الأخلاقي لاحترام الحياة البشرية وفي كليهما، على هذا الأساس، يتجلى التفكير العقلاني في نتيجة القرار.

(29)Jiri Horecky: The Value of Human life, The European Ageing Network (EAN), www.ean.care.

إذن ثمة اشكالية حين الحديث عن قدسية الحياة، تتمثل تلك الاشكالية في الاجابة عن التساؤلات الآتية: ما القيمة التي يقدمها الفرد الي المجتمع؟ وما المدة المتبقية للفرد في الحياة؟ ووفقا للاجابة علي تلك التساؤلات يتم تحديد قيمة الحياة بالنسبة لشخص ما، ولكن ثمة اشكالية أخري واجهت الفلاسفة والمفكرين حين تناولوا قيمة الحياة:

وثمة اختلاف آخر حول تحديد قيمة الحياة هو:

لقد احتل تعريف الحياة الانسانية وقيمتها ومعناها مركز المناظرات المحتدمة حول موضوعات مثل (الاجهاض والقتل الرحيم والتكاثر الصناعي وهندسة الجينات وقياس نوعية الحياة وندرة الموارد الطبية)، وتتمحور جدلية الموضوعات السابقة حول التساؤلات الاتية: متي تأتي الحياة الانسانية الجديدة الي الوجودة؟ ما الذي يعطي الحياة الانسانية قيمتها؟ هل هناك بعض الحيوات تستحق –بقدر أكبر أو أقل– لأن تعاش عن حيوات الآخرين؟ متي تنتهي الحياة الانسانية؟ كيف ينبغي علينا ان نتعامل مع الكينونات التي ربما تصبح أو التي كانت في وقت من الاوقات مخلوقات انسانية حية؟([٣٠])

وتدور تلك التساؤلات حول تحديد بداية الحياة، كيف نميز أن هذا الكائن حي والآخر غير حي، ووفق الاجابة علي تلك التساؤلات يمكن تصنيف الرأي وفق أية من الفرق الذي ينتمي اليه المفكر، ولقد تم الاختلاف أيضا حول الاجابة عن تلك التساؤلات:

فاختلف الفلاسفة حول الاجابة عن هذه الاسئلة الي فريقين هما:

- **الفريق الاول:** يري تقديس الحياة بشكل مطلق، وتقديس الاحتمالية البيولوجية أو الاجتماعية أو الميتافيزيقية التي تشترك فيها مخلوقات حية محددة، وبالتالي من الخطأ الاخلاقي ان تجهض أو تنهي أملاً أو تعطي حقنة مميتة لمريض ميئوس من شفائه يرغب في الموت سريعاً بدون ألم، وهذا يعد انتهاكاً لقدسية الحياة الانسانية، وتلك الممارسات تنكر أو تمنع الاحتمال المملوك للمخلوقات البشرية الذين تتأثر بها حياتهم.

(٣٠)اوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، افاق جديدة للفكر الانساني،ترجمة: مصطفي محمود محمد، عام المعرفة، (٣٠١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ص١٦٤.

● **الفريق الثاني:** يؤكد هذا الفريق علي ان المعيار السليم لتعريف البداية والنهاية للحياة الانسانية ذات المعني اخلاقياً، يمكن ان يكون هو المعيار الذي يركز علي الوعي وانه تحت اي ظرف من الظروف فإن افضل طريقة لقياس قيمة الحيوات الانسانية الفردية هي استشارة الافراد انفسهم، فمعظم المخلوقات الانسانية الرشيدة تكون واعية بوجودها الخاص المستمر كموضوعات للمعتقدات والتوقعات والامال والمخاوف وغيرها من الحالات العقلية، ووفقا لوجهة النظر الخاصة بالوعي فان اشخاصاً كهؤلاء لا يمكن الحكم بأنهم مخطئون حقيقة في انهاء حياتهم ولهذا السبب الذي من أجله ينبغي ان نتغاضي أو نتسامح مع الاجهاض والحجة الثانية للفريق الثاني هي الافراد هم أفضل القضاة في الحكم علي حيواتهم ونوعية حياتهم، فإذا رأوا حيواتهم علي أنها حياة جيدة، إذن فليس من شأن الآخرين قانوناً ان يتدخلوا من دون إذن صريح، وبالمثل إذا كان الافراد يعتقدون ان حيواتهم لا تساوي شيئاً ورغبوا في ان يسرعوا من موتهم فليس للآخرين ان يحاولوا الاحتفاظ بحياتهم، او ان يدينوا هؤلاء، الذين يرغبون في مساعدتهم علي الموت سريعاً وبسهولة، وإحدي المهام أو التكليفات في اطار وجهة نظر كهذه هي بالطبع ان تعرف بوضوح الظروف التي ينبغي بموجبها ان يسمح للأفراد باتخاذ قرارات حاسمة تتعلق بحيواتهم، والناس لا يمنحون الحق لتقرير مصيرهم بالكامل إذا كانوا صغار السن، أو إذا كانوا يعانون عللاً عقلية جسيمة أو خرف الشيخوخة، علاوة علي ان الافراد لا ينبغي ان يعطوا القول الفصل في المسائل التي تمس حياتهم وسلامتها، إذا كانوا يفتقدون الي التحكم السيكولوجي او يفتقرون الي القدر الكافي منه في اختياراتهم مما يرجع الي اضطرابات عاطفية مؤقتة أو نقص في المعرفة أو التأثير المفرط لأناس آخرين.(٣١)

وعلي الجانب الآخر، تتحدد قيمة الحياة وفق جدلية أخري تتعلق بتعريف الحياة ذاتها، فهل المقصود بالحياة أية أمكانية قائمة أو مازالت في طور التكوين (الجنين)، وبالتالي تكون الحياة مقدسة في المراحل الجنينية، أم ان المقصود بالحياة ما هو قائم

(٣١) مرجع سابق، ص١٦٤-١٦٥.

بالفعل وليس علي سبيل الامكان، والسؤال يكون: في حالة الاجهاض علي سبيل المثال ما الذي يتم قتلة ؟

من الواضح ان الذي يتم قتلة هو بعض الكائنات الحية (الجنين)، أي يتم قتل كيان، فما يتم قتله في الاجهاض هو جنين بشري –هو بالفعل انسان.

ويدلل أصحاب هذا الرأي بانه تشير نصوص علم الأجنة إلى أنه في حالة التكاثر الجنسي العادي، تبدأ حياة الفرد البشري بالإخصاب الكامل، والذي ينتج كائناً متميزاً وراثياً ووظيفياً، يمتلك الموارد والتصرف النشط للتطور الموجه داخلياً نحو النضج البشري، فالحمل الطبيعي، خلية جنسية للأب، حيوان منوي، تتحد مع خلية جنسية للأم، بويضة، داخل كروموسومات هذه الخلايا الجنسية توجد جزيئات الحمض النووي التي تشكل المعلومات التي توجه تطور الفرد الجديد الذي نشأ عند اندماج الحيوانات المنوية والبويضة، ويتطور هذا الجنين تدريجياً فتنمو جميع الأعضاء والأنظمة والأعضاء اللازمة للتشغيل الكامل للإنسان الناضج، يكون نموه أو تطورها (يتحدد الجنس من البداية) سريعاً جداً في الأسابيع القليلة الأولى، في وقت مبكر من ثمانية أو عشرة أسابيع من الحمل، يكون للجنين قلب كامل التكوين ونابض، ودماغ كامل (على الرغم من أن جميع وصلات المشابك ليست كاملة– ويصبح الطفل علي شكل بشري يمكن تمييزه ويشعر الجنين بالألم والبكاء بل ويمص إبهامه.(٣٢)

وبالتالي يميل أصحاب هذا الفريق الي ان عملية الاجهاض ومحاولة التخلص من الجنين أمراً غير أخلاقياً، لأننا بذلك الفعل نقضي علي حياة ممكنة للجنين، ويعتبر انصار ذلك الرأي الجنين في طور التكوين كامل الاركان ولديه حياة، وهي مقدسة ولا يجب المساس بها أو محاولة التخلص منها، وبالتالي لابد من تقديم الرعاية اللازمة وتهيئة المناخ المناسب للجنين للنمو في الطريق الذي رسم له حتي يصل الي مرحلة الميلاد،

(32)Andrew I. Cohen and Christopher Heath Wellman: CONTEMPORARY DEBATES IN APPLIED ETHICS, Blackwell Publishing Ltd, Oxford,2005. P1٤.

والمبرر الاساسي لهذا الرأي ان الحياة الانسانية مقدسة سواء كانت الحياة في طور الامكان (الجنين) أو في طور الوجود الفعلي القائم.

فيمتلك الجنين البشري منذ البداية الموارد الداخلية والاستعداد النشط للتطور نفسه أو نفسها حتى النضج الكامل؛ كل ما يحتاجه هو بيئة مناسبة وتغذية، ولم يتم تحديد اتجاه نموه خارجياً، ولكن الجنين يوجه نموه داخلياً نحو النضج الكامل، فالجنين هو إنسان في مرحلة معينة (مبكرة) من التطور – المرحلة الجنينية–لها قدسيتها وفي الاجهاض يُقتل إنسان، عضو كامل من الجنس البشري العاقل، نفس النوع من الكيان مثلك أو أنا ، فقط في مرحلة مبكرة من التطور.(٣٣)

وهذا الفريق الآخر، لا يعتبر قيمة الحياة مطلقة سواء بالنسبة للجنين أو بالنسبة للاشخاص كاملي النمو، ويري ان قيمة الحياة هي قيمة نسبية مختلفة ومتغيرة، لذلك يميزون بين الانسان والشخص:

فيدعون أن الكائنات البشرية الجنينية ليست (بعد) أشخاصاً، وهم يعتقدون أنه بينما من الخطأ قتل الأشخاص، فليس من الخطأ دائماً قتل بشر ليسوا أشخاصاً، ولكن ما هو الشخص؟ هو كيان لديه وعي ذاتي، وعقلانية، وما إلى ذلك؟

تري تلك الحجة أن الكائن البشري يأتي في مرحلة الحمل، لكنه يدعي مع ذلك أن أنت أو أنا، الشخص البشري، يأتي بعد ذلك بكثير، على سبيل المثال، عندما يتطور الوعي الذاتي، لكن إذا ظهر هذا الكائن البشري في وقت ما، لكنني أصبحت في وقت لاحق، فسيترتب على ذلك أنني شيء وهذا الكائن البشري الذي ارتبط به شيء آخر.(٣٤)

ووفقا لوجهة النظر الثانية، يكون الاجهاض أو محاولة التخلص من حياة بعض الاشخاص أمراً اخلاقيا إذا لم يصل الفرد في حياته الي الشخص علي مستوي الوعي والاكتمال العقلي والمعرفي والنفسي والاجتماعي، وهذا الراي لا يبرر الاجهاض او

(33)Andrew I. Cohen and Christopher Heath Wellman: CONTEMPORARY DEBATES IN APPLIED ETHICS, Blackwell Publishing Ltd, Oxford,2005. P1٤
(34)Andrew I. Cohen and Christopher Heath Wellman: CONTEMPORARY DEBATES IN APPLIED ETHICS, Blackwell Publishing Ltd, Oxford,2005. P15

التخلص من الجنين فقط ولكنه أيضا يبيح للدولة او للمجتمع التخلص من بعض الافراد الذي يري أنهم غير متكملين علي مستوي الشخصية، وبالتالي تكون قيمة الحياة ترتبط بمدي تحقيق الفرد القدر الكاف من الشخصية العاقلة الواعية المدركة وكذلك المفيدة لمجتمعها.

ونخلص من ذلك الي ان، المشكلة الرئيسة في الاخلاق الطبية هي قضية الحياة والموت، ويتم التساؤل الدائم حولها وهي مشكلة مثيرة للجدل دائماً، فالحياة ذات قيمة للانسان لانها شرطاً ضرورياً لتحقيق كل القيم الاخري، فوجود الحياة شرطاً لوجود القيم الاخري، فالحياة تعني القدرة علي الاستقلال والحرية، لذا فإن احترام الحياة وقيمتها هو أمر بديهي وضروري، بل انه يمتد للاشخاص غير القادرين علي ممارسة الحرية والاستقلال في الحاضر –الاطفال، فاقد الوعي– ولكن تظل امكانية الحياة وتحقيق تلك الاستقلالية أمراً ممكنا لذا فمن الضروري احترام الحياة وتقديسها.

وبالاضافة الي ذلك، فان قيمة الحياة هامة لكل الافراد، فلا توجد معايير تجعل أهميتها غير متساوية بين الافراد، فليس قيمة حياة فرد ما أفضل من قيمة حياة فرد آخر، كما ان القتل والسماح بالموت هما أمران متطابقان من الناحية الاخلاقية، والنتيجة تكون:

أن اي (فعل) عمل أو (عدم الفعل) تقاعس، يمكن رؤيته انه يؤدي الي وفاة شخص ما أو أكثر لا يمكن تبريره الا اذا :

- كان هذا الفرد أو هؤلاء الاشخاص يهددون عمداً حياة واستقلال اشخاص آخرين.
- إذا كان موت عدد أقل من الافراد ضروري لإنقاذ حياة عدد أكبر.
- إذا قرر الاشخاص بشكل مستقل ان حياتهم لم تعد ذات قيمة بالنسبة لهم.

وبالتالي يمكن استنتاح الآتي:

- لا تمثل العمليات والتجارب علي الاجنة البشرية مشكلة اخلاقية لانه لا يوجد شخص بعد.
- ان منع العلاج–الغذاء عن الاطفال اصحاب الاعاقة الشديدة مطابق اخلاقيا لمحاولة قتلهم بل أسوء من ذلك، لانه يسبب لهم المزيد من المعاناة، لذا فهو سلوك خاطئ.
- القتل الرحيم الطوعي المختار بحرية ليس خطأ.

- القتل الرحيم غير الطوعي الذي تمارسه الحكومات نتيجة فشل توفير الرعاية الصحية الكافية تجعلها مسؤولة اخلاقيا عن الوفيات الناتجة وهو بالتأكيد خطأ اخلاقيا.
- ان عدم تزويد المرضي بالمعلومات الكافية لاتخاذ قرارات مستقلة أمر خاطئ اخلاقيا.
- لا يمكن لأي ممارسة أو طريقة جنسية لجلب الأطفال الي العالم ان تكون خاطئة من الناحية الاخلاقية ما لم تنتهك استقلالية شخص آخر او تسبب له معاناة جسدية أو عقلية غير مرغوب فيها.
- تعتبر قيمة الحياة من خلال أهميتها بالنسبة لصاحبها –مالكها، وليس من خلال فائدتها للاخرين، وبالتالي فان حياة كبار السن طالما انهم يرغبون في العيش لا تقل أهمية من الناحية الاخلاقية عن حياة الشباب.(٣٥)

رابعا: رؤى فلسفية لقيمة الحياة.

ثمة نظرة مقدسة للحياة البشرية ترفض كل أشكال القضاء علي الحياة، في حين ان بعض الفلاسفة والمفكرين قدموا مبررات عديدة لفكرة القتل أو التخلص من الحياة بالنسبة لبعض الاشخاص وكانت حجتهم في بعض الاحيان عامل السن وعدم حاجة المجتمع لهم، أو التشوهات الخلقية، أو قلة الرعاية الطبية..... ولذا ظهرت العديد من الموضوعات التي تتصل بشكل مباشر بقيمة الحياة منها (الاجهاض–الموت الرحيم).

ويمثل موقف الدين من قيمة الحياة وضرورة الحفاظ عليها موقفا يؤكد علي قيمة الحياة وقدسيتها في حد ذاتها بغض النظر عن أية أمور أخري، فلقد عارضت جميع الاديان فكرة القتل بشكل عام والقتل الرحيم بشكل خاص وتعتبره جريمة في حق الانسانية وتتفق الاديان سواء اليهودية والمسيحية والاسلام في ذلك، علي سبيل المثال تعارض المسيحية هذه الجريمة كما جاء ذلك في سفر أيوب (٢٣-٣٠) "لأني أعلم انك الي الموت تعيديني والي بيت ميعاد كل حي"، ووكذلك يعارض الاسلام القتل بشكل عام والقتل الرحيم أيضا، لان الله هو من يتصرف في الأرواح وليس البشر، ويري انه لا يحق لاي

(35)Harry Lesser: The Value of Life: an Introduction to Medical Ethics, Journal of Medical Ethics · December 1985, .

انسان ان يقتل نفسه لان النفس ملك لله ولا يجوز ان يتخذ أحد قرار بشأنها إلا الذي خلقها. ([٣٦])

وعلي النقيض من ذلك، يري أفلاطون ان من الواجب اجهاض المرأة التي تحمل من سفاح، وعلي كل مواطن في دولة متدينة ان يقوم به، لانه لا يحق لأحد ان يقضي حياته بين الامراض والادوية، وعليك يا جوكلن ان تضع قانوناً واجتهاداً كما نفهمه نحن مؤداه وجوب تقديم كل عناية للمواطنين الاصحاء جسماً وعقلاً أما الذين تنقصهم سلامة الاجسام فيجب ان يتركوا للموت، أيضا يوافق سقراط واتباعه علي القتل الرحيم وسماه التدبير الذاتي للموت بشرف([٣٧])، ويجعل قيمة الحياة ترتبط في بعض الاحيان بالنسل والأم وطبيعة الظروف التي تمر بها الدولة فقدسية الحياة نسبية عند افلاطون وغير مقدسة.

ويعلن كانط في مقدمة كتابة "نقد العقل العملي": "أنا شخصياً بطبيعة ميلي باحث أشعر بتعطش شامل للمعرفة وبقلق متلهف للتقدم فيها، أو بالرضا عن كل تقدم أقوم به، ....كنت اعتقد ان هذا يمكن ان يكفي وحده ليصنع شرف الانسانية وكنت احتقر الرعاع الذين يجهلون كل شئ....ولكن غيرت رأيي وأخذت أتعلم احترام الناس وسأعمل جاهداً علي إقامة حقوق الانسانية." ([٣٨])

وتظهر قيمة الحياة وضرورة الحفاظ عليها عند كانط في قواعد الواجب الاخلاقي عنده:

ففكرة الواجب هي عصب الاخلاق عند كانط، فالواجب هو الشعور بالالتزام تجاه القيم وتجسيد السلوك المؤدي الي تحقيق الغايات الاخلاقية والدوافع الباطن الي تنفيذ ما تقضي به الاخلاق، فالواجب هو ضرورة القيام بالفعل عن احترام القانون([٣٩]) فقسم كانط الواجب الي نوعين:

---

(٣٦)عماد الدين ابراهيم:اخلاقيات البيوطيقا والقتل الرحيم، بحث ضمن مجموعة ابحاث " الاخلاقيات التطبيقية جدل اليم والسياقات الراهنة للعلم، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥م، ص١٢٧.

(٣٧)أفلاطون: الجمهورية، ترجمة: فؤاد ذكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٥٦.

(٣٨)ايمانويل كانط: نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا، المنظمة العربية للكتاب، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٣.

(٣٩)ايمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥١.

- ✓ الواجب تجاه الذات: ان الافعال الانسانية لا تكون خيرة إلا اذا صدرت عن واجب، وليس بغية تحقيق مصلحة شخصية ومنه كانت محافظة الانسان علي حياته واجب وحفظ كرامة الانسانية في شخصه الخاص، لذلك لابد ان يتمسك بالكرامة الانسانية التي اعتبرها كانط من أهم مميزاته وصفاته التي لابد عليه الحفاظ عليها بحيث يقول: "تتمثل هذه الواجبات في امتلاك المرء احساس داخلي معين بالكرامة يجعل الانسان أنبل من سائر المخلوقات جميعا." (٤٠)
- ✓ واجبات تجاه الآخرين: يصرح كانط انه لابد من الحرص علي ممارسة الانسان لواجباته اتجاه الاخرين ويتم تعويد الانسان منذ صغره علي ذلك، فالانسان الذي يحسن الي الغير رغم ما يشعر به من همومه الذاتية التي تقضي علي كل مشاركة وجدانية للاخرين فإن تصرفه هذا يصدر عن الواجب.

ويتفق جون لوك مع كانط في التأكيد علي قدسية الحياة بقوله ان الحق في الحياة غير قابل للتصرف ولا يمكن لأحد التنازل عنه حتى بالموافقة على عكس الحقين الأساسيين الآخرين وهما الحرية والملكية.(٤١)

تلك إذن قيمة الحياة وجدلية تعريفها وحدودها، ومن خلال ذلك العرض، فإن قيمة الحياة وتحديدها يدور بين القيمة المقدسة والمطلقة للحياة، وتجريم المساس بها سواء علي المستوي القانوني أو المستوي الاخلاقي، وعلي الجانب الآخر هناك من ينظر للحياة نظرة نفعية أو يقيمها وفق قدرها وقدر المستقبل الذي ينتظرهم، أو وفق الدور الذي تقوم به في المجتمع، وبالتالي فان صغار السن أكثر قيمة من كبار السن، وإذا كان هناك تضحية يتم التضحية بكبار السن في مقابل صغار السن، ووفق النظرية النفعية تكون التضحية بمن لا يقوم بنفع في المجتمع.

(٤٠)ايمانويل كانط: تأملات في التربية، ترجمة: محمود بن جماعة، ط١، دار محمد علي للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٥م، ص٦٩.

(41)Jiri Horecky: The Value of Human life, The European Ageing Network (EAN), www.ean.care.

الخاتمة:

يسعي الانسان دائماً للسيطرة علي البيئة والموجودات من حوله، وثمة مصدرين لتلك الرغبة هما:

- **الاول:** يكمن في حاجة الانسان الي اشباع احتياجاته المختلفة وتحقيق رفاهيته التي يسعي اليها، وفي هذا السبيل اذا تعارضت تلك الحاجات مع حاجات كائنات أخري –أو إنسان آخر– فإن الانسان لا يري أية مانع في القضاء علي هذا الآخر في سبيل إشباع احتياجاته.
- **والثاني:** يكمن داخل الذات البشرية، ألا وهو محاولة إثبات القوة، فالعلاقة بين الانسان والبيئة، أو بين الانسان والآخر قد لا تجد تفسيرات لسلوك الانسان الا سعيه الدائم في اثبات انه الاقوي أنه الاجدر بالرفاهية دون الموجودات الاخري وحتي الآخرين من بين جنسه.

لذا لجأ الانسان الي العلم والاكتشافات التكنولوجية والبيولوجية والعلمية الحديثة التي حاول من خلالها اشباع رغباته، وهنا ظهرت العديد من العلوم الجديدة مثل (الهندسة الوراثية–علوم الجينات–الاستنساخ...الخ) ولقد تركت تلك العلوم خلفها العديد من الاشكاليات الاخلاقية، وهنا ظهر دور الفلاسفة في تناول تلك الاشكاليات من كافة الجوانب لمحاولة الوصول الي الحقيقة الكاملة حول الاشكاليات التي تثيرها العلوم والتكنولوجيا الحديثة.

وهنا يظهر دور الاخلاق التطبيقية في أنها تتناول الاشكاليات التي تثيرها العلوم المختلفة ومدي تأثيرها علي الحياة الانسانية، وتحاول ان تزود الانسان بالمعايير التي عليه ان يهتدي بها في تعامله مع العالم المحيط، وثمة حقيقتان لا يمكن انكارهما:

- ✓ **الاولي:** ان للانسان كامل الحق في تحقيق امكاناته الذاتية والوصول الي المستوي المطلوب في الرفاهية والحياة الجيدة، وذلك باستغلال العلم وانجازاته واستثمار الموارد الطبيعية والامكانات من حوله.
- ✓ **الثانية:** ليس للانسان–ايا كان– الحق في سلب الحياة من شخص آخر –بدون سند قانوني– فقيمة الحياة مقدسة، ولها حرمة المقدسات الدينية في كل الاديان السماوية

والطبيعية، فقيمة الحياة حق أصيل لصاحبها، وحتي إذا أعلن صاحبها عن رغبته وبكامل ارادته في انهاء تلك الحياة–الانتحار–فعلي اخيه الانسان ان يحاول منعه بشتي الطرق وعدم تركه ينهي تلك الحياة.

وانهي هذه الورقة البحثية، بالتأكيد علي ان أي فرد لا يستطيع ان يحدد قيمة حياة شخص آخر، وفق النظرة النفعية أو النظرة المستقبلية أو العمر ... الخ، فكل تلك المعايير لا تصلح لتقييم تلك الحياة التي يملكها شخص آخر، لذا فإن لك الحق في الحياة كما للآخرين الحق في الحياة، فحياة الفرد لم يختارها بل تم منحها اليه، وبالتالي فليس له الاختيار في التخلص منها، ولكن يبقي السؤال: كيف تستطيع الفلسفة مساعدة الانسان في تقدير قيمة الحياة للآخرين؟ سؤالاً ضرورياً.

المراجع العربية والاجنبية:

أولا: المراجع العربية:

١- احمد عبد الحليم عطية: المدخل الي الفلسفة الراهنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢- اوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، افاق جديدة للفكر الانساني،ترجمة: مصطفي محمود محمد، عام المعرفة، (٣٠١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ٢٠٠٤م.
٣- برتراند رسل: المجتمع البشري في الاخلاق والسياسة، ترجمة، عبد الكريم أحمد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،ب.ت.
٤- خالد قطب-أحمد مستجير:الفلسفة التطبيقية، الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة،ب.ت.
٥- ديفيد رزنيك : أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النور المنعم، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٥م.
٦- عمر بوفتاس: البيوتيقا، الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، افريقيا الشرق المغرب، ج١، ٢٠١١م.
٧- غي ديران: البيوتيقا، ترجمة محمد جديدي، الطبعة الاولي، جداول للنشر والتوزيع، المغرب، ٢٠١٥م.
٨- محمد عابر الجابري : قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٩- مراد وهبة: المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٠- مصطفي النشار: العلاج بالفلسفة، بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيبية وفلسفة الفعل، ط١، الدرا المصرية السعودية،القاهرة، ٢٠١٠م.
١١- ـــــ: الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م
١٢- ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والاخلاق، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٩٣م.
١٣- نورة بوحناش: البيواتيقا انفجار اخلاقي داخل العلم، بحث منشور ضمن"الاخلاقيات التطبيقية"جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم" ،الطبعة الاولي، مكتبة مؤمن قريش، منشورات ضفاف، لبنان، ٢٠١٥م.
١٤- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج٢، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٩٧١م.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

15-Aleksandra Kuzior: Applied Ethics, Politechnika Silesian ,Lublin , Silesian .2021.

16-Andrew I. Cohen and Christopher Heath Wellman: CONTEMPORARY DEBATES IN APPLIED ETHICS, Blackwell Publishing Ltd, Oxford,2005.

17- Anetta Breczko, Marta Andruszkiewicz:The Question of the Value of Human Life in Theoretical Discussions and in Practice. A Legal Philosophical and Theory of Law Perspective, Białostockie Studia Prawnicze, 2018 vol. 23 nr 4..

18-Encyclopedia Britannica article from the full 32 vol April 29, encyclopedia, applies ethics, 2005.

19-GÖRAN COLLSTE :Applied and Professional Ethics, KEMANUSIAAN Vol. 19, No. 1, (2012), 17–33.

20-Harry Lesser: The Value of Life: an Introduction to Medical Ethics, Journal of Medical Ethics · December 1985.

21- Jiri Horecky: The Value of Human life, The European Ageing Network (EAN), www.ean.care.

22- Kuhsh, Helga & Singer, Peter, What is Bioethic? A Historical Introduction, A Companion to Bioethics , Blackwell Publishers,U S A,1998.

23-Peter J.White house."The Rebirth of Bioethics Extending The Original Formulation of Van Rensselaer Potter, The American Journal of Bioethics",2003.

24-Wikipedia" Appliedethics", Available on http://www.Wikimedia Foundation, Inc.,(2009).

ثالثا: مواقع الشبكة العنكبوتية:

25- https://cutt.us/h٢Vqf

26- https://cutt.us/٠ClO٤